

منزلة العقل في الإسلام وأهميته

عناصر الخطبة

مفهوم العقل عند أهل السنة والجماعة

مكانة العقل في الإسلام

الأثار التي وردت في مدح العقل

أقسام العقل

ومفساته

وسائل حماية العقل

التفصيل

الحمد لله الذي خلق الإنسان في أحسن تقويم، وكرّمه بالعقل، وميّزه بالفكر، وأنعم عليه بنطق اللسان ومملكة البيان، وفضّله على كثير من الخلق في هذه الأكوان، والصلاة والسلام على أشرف الخلق وخاتم الرسل، الذي هدى الله ببعثته العقول الضالّة، وصحّح برسالته الأفكار المنحرفة، وردّد بدعوته النفوس التائهة، وعلى آله وأصحابه أولي الفضل والألباب. (١)

اعلم أنّ لكلّ فضيلةً أَسًا ولكلّ أدبٍ ينبوعًا، وأُسّ الفضائلِ وينبوعُ الآدابِ هو العقلُ الذي جعله اللهُ تعالى للدينِ أصلاً وللدنيا عماداً، فأوجبَ الدينَ بكماله وجعلَ الدنيا مُدبّرةً بأحكامه، وآلفَ به بينَ خلقه معَ اختلافِ هممهم ومآربهم، وتباينِ أغراضهم ومقاصدهم. (٢)

ولقد أنعم الله على الإنسان بنعمة العقل والفكر، وبهما كرّم بني آدم على كثير من الكائنات، قال تعالى: {وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا} [الإسراء: ٧٠].

(١) أصول الدعوة وطرقها (ص ١٩٩) - جامعة المدينة.

(٢) أدب الدنيا والدين للماوردي (ص: ١٧).

مفهوم العقل عند أهل السنة والجماعة

لقد تشعب الناس إلى طوائف من حيث نظرتهم لمكانة العقل وأهميته، وبناء على ذلك جاءت تصرفاتهم واهتماماتهم بحسب نوعية وجودة الغذاء المعرفي، وترتب على ذلك أن ظهرت تربيّات متنوعة بحسب تباين المفاهيم، ويمكن بيان تلك الأقسام على النحو التالي:

١ - نوع من الناس ألّه العقل التابع لهواه، وجعله هو المرجع الرئيس والحاكم على الأشياء، والقائد والمشرع، والموجه والمنظم لحياة الإنسان، وعطله عن معرفة الحق وإدراكه، فهؤلاء يعيشون لشهواتهم، وهؤلاء هم أهل الكفر بجميع أصنافه، قال تعالى: {أَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا} [الفرقان: ٤٣].

٢ - وصنف عطل العقل، فلا يتدبرون ولا يتفكرون، وإنما حياتهم حياة بهيمية، لا يتدبرون آيات الله الماثورة في الكون وفي أنفسهم ولا يتفكرون في مآلهم ونهاية حياتهم قال تعالى: { أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ } [الحج: ٤٦].

٣ - وأمة من الناس قدمت الشرع على العقل، وأصبح الشرع بمثابة ضوء الشمس للعين، وتحقق عندهم لصحة عقولهم وصفاء منهجهم عدم تعارض العقل السليم والنقل الصحيح، وهؤلاء هم أهل الحق، وهم أهل السنة والجماعة، عرفوا قدر الشرع وأهميته، وحاجة الناس إليه فاتبعوه، وعرفوا أهمية العقل فلم يعطلوه. (٣)

مكان العقل:

قال الهاوردي رحمته الله: وَكُلُّ مَنْ نَفَى أَنْ يَكُونَ الْعَقْلُ جَوْهَرًا أَثْبَتَ مَحَلَّهُ فِي الْقَلْبِ؛ لِأَنَّ الْقَلْبَ مَحَلَّ الْعُلُومِ كُلِّهَا. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا} [الحج: ٤٦].

(٣) ويراجع لزاماً كتاب درء تعارض العقل والنقل، لابن تيمية، وإعلام الموقعين لابن قيم الجوزية (١/٥٣-٨٥) وذلك لمعرفة موقف السلف من العقل والرأي، فهما الغاية في هذا الموضوع.

ويقول ابن الجوزي رحمه الله أكثر أصحابنا يقولون محل القلب وهو مروي عن الشافعي رحمه الله. (٤)

والعقل من حيث الاستفادة منه نوعان:

١- عقل إدراك:

وهو العقل الذي عند كل أحد ما لم يكن مسلوباً بجنون، أو قاصراً لصغر السن، وهو الذي يميز به الناس بين الأشياء في الكثرة والقلّة والأعداد، والأحجام، ونحو ذلك. وهذا عند المسلم والكافر وليس له علاقة بالديانة.

٢- عقل رشد:

وهو الذي يعلم به صاحبه فيعمل، وهو العقل الصحيح الذي يقبل الحق إذا علمه، ويبعد عن الشر إذا عرفه، فالذي يعلم الحق ولا يعمل به ليس لديه عقل رشد، وإنما لديه عقل إدراك. (٥)

مكانة العقل في الإسلام:

فإن للعقل مكانة عظيمة في الإسلام لذلك سنذكر بعض ما كفه الإسلام للعقل من مكانة:

١ - جعل الإسلام العقل من ضروريات الإنسان الخمسة، التي يجب المحافظة عليها، وهي: الدين، النفس، العقل، النسل، المال.

٢ - العقل يسمو بالإنسان على الملائكة:

إذ إن الله خلق الملائكة بعقل دون شهوة، وخلق الدوابّ بشهوة من غير عقل، أمّا الإنسان فهو مُرَكَّبٌ من عقل وشهوة، فمن ارتقى من البشر بعقله وتغلّب على شهواته، كان عند الله أفضل من الملائكة، بدليل أن الله يباهي بعبده الصائم الملائكة، كما ذكر رسول الله صلّى الله عليه وآله أمّا من تغلّب شهوته على عقله، فإنه ينزل إلى مرتبة أقل من الحيوان.

(٤) ذم الهوى (ص: ٦)

(٥) التربية الإبداعية في منظور التربية الإسلامية لخالد بن حامد الحازمي (ص: ٤٥٣).

٣ - الأحكام الشرعية في الإسلام، مرتبطة ببلوغ الإنسان واكتمال عقله، وتسقط عنه التكاليف الشرعية، إذا ما زال عقله بمرض أو جنون أو إغماء أو نوم، قال النبي ﷺ "رُفِعَ الْقَلَمُ عَنْ ثَلَاثَةٍ: عَنِ النَّائِمِ حَتَّى يَسْتَيْقِظَ، وَعَنِ الصَّبِيِّ حَتَّى يَحْتَلِمَ، وَعَنِ الْمَجْنُونِ حَتَّى يَعْقِلَ". (٦)

٤ - أمر الله الإنسان، أن ينشط عقله ويوقظ ذاكرته، كلما اعتراهما الغفلة والنسيان، يذكرهما بالعبادة وذكر الله، ليظلَّ العقل يقظاً، قال تعالى: {وَاذْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنَّ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا} [الكهف: ٢٤].

٥ - بين الحق تبارك وتعالى أن الكفر والإلحاد وفساد العقيدة وانحراف السلوك، سببه غشاوة العقول واضطراب الفكر واعتلال النظر، قال تعالى: {إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الضُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ} [الأنفال: ٢٢]. (٧)

الأثار التي وردت في مدح العقل
قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَصْلُ الرَّجُلِ عَقْلُهُ، وَحَسَبُهُ دِينُهُ، وَمُرُوءَتُهُ خُلُقُهُ.
وَقَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ رَضِيَ اللَّهُ مَا اسْتَوَدَعَ اللَّهُ أَحَدًا عَقْلًا إِلَّا اسْتَنْقَذَهُ بِهِ يَوْمًا مَا.
وَرَوَى الضَّحَّاكُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: {لِيُنذَرَ مَنْ كَانَ حَيًّا} [يس: ٧٠] أَي مَنْ كَانَ عَاقِلًا. (٨)
ويقول مصطفى السباعي رَضِيَ اللَّهُ: من تمام نعمة الله عليك بالعقل أن يعرفك قدر نفسك. (٩)

وَحَكَى الْأَصْمَعِيُّ رَضِيَ اللَّهُ قَالَ: قُلْتُ لِغُلَامٍ حَدَّثَ مِنْ أَوْلَادِ الْعَرَبِ كَانَ يُحَادِّثُنِي فَأَمْتَعَنِي بِفَصَاحَةٍ وَمَلَا حَةٍ: أَيْسُرُكَ أَنْ يَكُونَ لَكَ مِائَةٌ أَلْفِ دِرْهَمٍ، وَأَنْتَ أَحْمَقُ؟ قَالَ: لَا وَاللَّهِ. قَالَ: فَقُلْتُ: وَلِمَ؟ قَالَ: أَخَافُ أَنْ يُجَنِّي عَلَيَّ

(٦) صحيح أخرجه أبو داود في سننه (٤٣٩٨)، والنسائي (١٥٦/٦) وغيرهما.

(٧) أصول الدعوة وطرقها جامعة المدينة.

(٨) أدب الدنيا والدين (ص: ١٧).

(٩) هكذا علمتني الحياة لمصطفى السباعي (ص: ٨٦).

حُمِّي جِنَايَةً تَذْهَبُ بِهَا لِي وَيَبْقَى عَلَيَّ حُمِّي. فَانظُرْ إِلَى هَذَا الصَّبِيِّ كَيْفَ اسْتَخْرَجَ بِفَرْطِ ذَكَائِهِ، وَاسْتَبْطَأَ بِجَوْدَةِ قَرِيحَتِهِ مَا لَعَلَّهُ يَدُقُّ عَلَى مَنْ هُوَ أَكْبَرُ مِنْهُ سِنًا، وَأَكْثَرُ تَجْرِبَةً.

وَرَوَى قَتْمُ بْنُ الْعَبَّاسِ رضي الله عنه قَالَ: قِيلَ لِعَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه كَمْ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ؟ قَالَ: دَعْوَةٌ مُسْتَجَابَةٌ. قِيلَ: فَكَمْ بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ؟ قَالَ: مَسِيرَةٌ يَوْمٍ لِلشَّمْسِ. فَكَانَ هَذَا السُّؤَالُ مِنْ سَائِلِهِ إِمَّا اخْتِبَارًا، وَإِمَّا اسْتِبْصَارًا فَصَدَرَ عَنْهُ مِنَ الْجَوَابِ مَا أَسْكَتَ. (١٠)

أقسام العقل:

يُنْقَسِمُ الْعَقْلُ إِلَى قِسْمَيْنِ: غَرِيزِيٍّ وَمُكْتَسَبٍ.

فَالْغَرِيزِيُّ هُوَ الْعَقْلُ الْحَقِيقِيُّ. وَلَهُ حَدٌّ يَتَعَلَّقُ بِهِ التَّكْلِيفُ لَا يُجَاوِزُهُ إِلَى زِيَادَةٍ وَلَا يَقْصُرُ عَنْهُ إِلَى نُقْصَانٍ. وَبِهِ يَمْتَأَزُ الْإِنْسَانُ، فَإِذَا تَمَّ فِي الْإِنْسَانِ سُمِّيَ عَاقِلًا وَخَرَجَ بِهِ إِلَى حَدِّ الْكَمَالِ. (١١)

وَأَمَّا الْعَقْلُ الْمُكْتَسَبُ فَهُوَ نَتِيجَةُ الْعَقْلِ الْغَرِيزِيِّ وَهُوَ نَهَايَةُ الْمَعْرِفَةِ، وَصِحَّةُ السِّيَاسَةِ، وَإِصَابَةُ الْفِكْرَةِ. وَلَيْسَ لَهُذَا حَدٌّ؛ لِأَنَّهُ يَنْمُو إِنْ أُسْتَعْمِلَ وَيَنْقُصُ إِنْ أَهْمِلَ. وَنَمَاؤُهُ يَكُونُ بِأَحَدٍ وَجْهَيْنِ: الْوَجْهَ الْأَوَّلَ بِكَثْرَةِ الْإِسْتِعْمَالِ إِذَا لَمْ يُعَارِضْهُ مَانِعٌ مِنْ هَوَى وَلَا صَادٌّ مِنْ شَهْوَةٍ، كَالَّذِي يَحْصُلُ لِذَوِي الْأَسْنَانِ مِنَ الْحُنْكَةِ وَصِحَّةِ الرَّوْيَةِ بِكَثْرَةِ التَّجَارِبِ وَمُمَارَسَةِ الْأُمُورِ.

وَأَمَّا الْوَجْهَ الثَّانِي فَقَدْ يَكُونُ بِفَرْطِ الذِّكَاةِ وَحُسْنِ الْفِطْنَةِ، فَإِذَا امْتَرَحَ بِالْعَقْلِ الْغَرِيزِيِّ صَارَتْ نَتِيجَتُهُمَا نُمُو الْعَقْلِ الْمُكْتَسَبِ كَالَّذِي يَكُونُ فِي الْأَحْدَاثِ مِنْ وَفُورِ الْعَقْلِ وَجَوْدَةِ الرَّأْيِ.

وَقَالَ بَعْضُهُمُ الْعَقْلُ عَلَى ثَلَاثَةِ أَوْجِهٍ:

عَقْلٌ مَوْلُودٌ مَطْبُوعٌ وَهُوَ عَقْلُ ابْنِ آدَمَ الَّذِي بِهِ فَضْلٌ عَلَى أَهْلِ الْأَرْضِ وَهُوَ حَلُّ التَّكْلِيفِ وَالْأَمْرُ وَالنَّهْيُ وَبِهِ يَكُونُ التَّدْبِيرُ وَالتَّمْيِيزُ.

وعقل التأييد الذي يكون مع الإيمان وهو عقل الأنبياء والصدّيقين وذلك تفضل من الله تعالى.

(١٠) أدب الدنيا والدين (ص: ٢٣).

(١١) أدب الدنيا والدين للماوردي (ص: ١٩).

وعقل التجارب والعبر وَذَلِكَ مَا يَأْخُذُهُ النَّاسُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ وَمَنْ هَذَا قَوْلٌ مِنْ قَالَ مَلَاقَةَ النَّاسِ تَلْقِيحَ الْعُقُولِ. (١٢)

مفسدات العقل:

يمكن إيضاح تلك المفسدات فيما يلي:

١- مفسدات فكرية:

١- وهي أن يتصور الإنسان الأمور الغيبية من غير منهج الله تعالى، وأن يتلقى الأوامر والنواهي المتعلقة بتوجيه الجانب العقدي والتعبدي، ونشاطه الاجتماعي والاقتصادي والسياسي والأخلاقي من غير منهج الله. (١٣)

٢- إثارة الشبه بين الناس وإشغالهم، وافتتانهم بها وهذا مما يفسد العقل فكراً وتصوراً.

٣- وكذا الترويج للشعوذة والكهانة، والنظريات الباطلة في التربية والسياسة والاقتصاد والاجتماع والأخلاق، ونشر اللهو عن طريق وسائل متعددة: كالكتاب والمجلة والصحيفة والمسرح والقصص والسينما والرأي والمذيع، وغير ذلك من الوسائل ذات التأثير الفاعل.

٤- المعاصي والهوى ومما يفسد العقل الانغماس في المعاصي، واتباع الهوى، فينشغل بذلك عن معرفة مصالحه في دار معاشه ومعاده. وقد حذر الله تعالى من اتباع من اتبع هواه وذلك لفساده وفساد منهجه، فقال تعالى: {وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا} [الكهف: ٢٨]. (١٤)

٢- مفسدات حسية

أما الحسية فهي كالخمر والمخدرات وسائر المسكرات التي تذهب العقل.

(١٢) الانتصار لأصحاب الحديث لأبي المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزي السمعاني (ت: ٤٨٩) (ص: ٧٥).

(١٣) عبد الله أحمد قادري، الإسلام وضروريات الحياة، ص ١١٤.

(١٤) التربية الإبداعية في منظور التربية الإسلامية لخالد بن حامد الحازمي (ص: ٤٨٣).

قال الله تعالى {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٩٠)} إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيُصَدِّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ} [المائدة: ٩٠، ٩١].

وأشد من الخمر في الفتك بالعقل: المخدرات، التي تزيل العقل، وتفسد القلب، وتجعل متعاطيها يعيش في غيبوبة دائمة، هاربا من واقعه.

من أجل ذلك حرمها الإسلام - كما حرم الخمر - لجامع السكر في الاثنين، فعن ابن عمر رضي الله عنهما، قال: قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "كُلُّ مُسْكِرٍ خَمْرٌ، وَكُلُّ مُسْكِرٍ حَرَامٌ، وَمَنْ شَرِبَ الْخَمْرَ فِي الدُّنْيَا فَهَاتَ وَهُوَ يُدْمِنُهَا لَمْ يَتَّبْ، لَمْ يَشْرَبْهَا فِي الْآخِرَةِ". (١٥)

وقد قاس شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله حكم قليل "الحشيش" على قليل "المسكر"، بجامع مخامرة كل منهما للعقل، فقال: (وأما قليل الحشيشة المسكرة، فحرام عند جماهير العلماء، كسائر القليل من المسكرات). (١٦)

والمخدرات كلها مسكرة، والوعيد المترتب على تعاطي الخمر، هو الوعيد المترتب على تعاطي أنواع المخدرات المختلفة، بجامع اشتراك الكل في إزالة العقل، فكل ما جاء في وعيد شارب الخمر، يأتي في مستعمل شيء من هذه المذكورات؛ لاشتراكها في إزالة العقل المقصود للشارع بقاؤه؛ لأنه الآلة للفهم عن الله تعالى، وعن رسوله صلى الله عليه وسلم، والمتميز به الإنسان عن الحيوان، والوسيلة إلى إثارة الكمالات عن النقائص. فكان في تعاطي ما يزيله وعيد (الخمر). (١٧)

(١٥) صحيح مسلم (٣/١٥٨٧) رقم ٧٣ (٢٠٠٣).

(١٦) مجموع الفتاوى لابن تيمية (٣٤/٢٥٤).

(١٧) الزواجر عن اقتراف الكبائر لأحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي (١/٣٥٤).

وسائل حماية العقل في الإسلام وكيفية أداء شكر هذه النعمة:

١- الأخذ بكل ما تضمنه القرآن الكريم والسنة النبوية، دون قيد أو شرط، والإيمان بهما والعمل بمقتضاهما،

دون الرجوع إلى أي منهج آخر للاحتكام إليه، قال تعالى: {وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا

وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ} [الحشر: ٧]. (١٨)

٢- أن لا يكون العمل إلا بدليل شرعي فيما يخص الأعمال العقدية والتعبدية، والمعاملات، ولا يكون توجه

الإنسان واجتهاده في حياته وأعماله العامة والخاصة إلا وفق المنهج الإسلامي.

٣- أنه حرم كل ما من شأنه أن يؤثر على العقل ويضر به أو يعطل طاقته كالخمر والحشيش وغيرها قال تعالى:

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ

تُفْلِحُونَ} [المائدة: ٩٠].

٤- كما شرع العقوبة الرادعة على تناول المسكرات وهو حد شارب الخمر وذلك لخطورتها وأثرها البالغ

الضرر على الفرد والمجتمع.

٥- أنه ربي العقل على روح الاستقلال في الفهم والنظر واتباع البرهان ونبذ التقليد غير القائم على الحجة كما

في قوله تعالى: {أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ هَذَا ذِكْرٌ مَنْ مَعِيَ وَذِكْرٌ مَنْ قَبْلِي بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا

يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُمْ مُعْرِضُونَ} [الأنبياء: ٢٤].

٦- كما دعا إلى تنمية العقل ماديا ومعنويا: ماديا بالغذاء الجيد الذي يقوي الجسم وينشط الذهن. أما معنويا

فبالتأكيد على طلب العلم واعتباره أساس الإيمان، قال تعالى: {إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ

عَفُورٌ} [فاطر: ٢٨].

٧- رفع مكانة العقل وتكريم أولي العقول ففي أكثر من آية من القرآن الكريم، قال الله تعالى: {وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَى فَبَشِّرْ عِبَادِ * الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ } [الزمر: ١٧، ١٨].

٨- تحرير العقل من سلطان الخرافة وإطلاقه من حيز الأوهام، كما أنه منع على العقل الخوض في الغيبات من غير سلطان أو علم يأتيه من الوحي المنزل على الأنبياء، واعتبر ذلك مسببا في هدر طاقته من غير طائل قال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَا هُمْ بِبَالِغِيهِ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ} [غافر: ٥٦].

٩- تدريب العقل على الاستدلال المثمر والتعرف على الحقيقة

١٠- توجيه الطاقة العقلية إلى استخلاص حكم التشريع وأسراره قال تعالى {أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا} [النساء: ٨٢].

١١- أن يعرف الإنسان محدودية عقله، وأن لعقله حدوداً لا يستطيع أن يتجاوزها.

وسائل تربية العقل وتنمية قدراته ومهاراته:

١- تدبر آيات الله القرآنية:

إن تدبر آيات الله القرآنية عبادة وفقه وتنمية للعقل على الخير، كما أن في ذلك حفظاً لعقل الإنسان من طرق الهلاك والضلال، وقد أمر الله تعالى بتدبر القرآن الكريم، فقال تعالى: {أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا} [محمد: ٢٤].

٢ - تدبر آيات الله الكونية:

كلما تأمل المؤمن في مخلوقات الله تعالى ازداد إيمانه واتسعت آفاقه وتفكيره، وقد بين تبارك وتعالى أن آياته تدل على الحق، قال تعالى: {سُنُرِهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَبَيِّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ} [فصلت: ٥٣].

٣ - تدبر العواقب:

مما يساعد الإنسان على نمو الجانب التفكيرى وحسن الإبداع تعقل الأمور وتدبر عواقب ما يريد أن يقدم عليه، فينظر ما هي عواقبه ونتائجه عليه في دار معاده ومعاشه، وهل هي لذة وقتية يتبعها ألم دائم وحسرة قد لا تنقطع، أو ضد ذلك؟

٤ - حسن النقد والتمييز:

إن من أهداف التربية تهذيب الإرادة، وتنمية التفكير ليميز الغث من السمين، والحسن من القبيح، واختيار الفضائل وتجنب الرذائل حتى لا يكون عبد شهوته من جهة، وإمعة من جهة أخرى، ويعتبر بكل قول، ويجذب كل ناعق، وتصرفات الإنسان هي وليدة أفكاره "وأصل الخير والشر من قبل التفكير، فإن الفكر مبدأ الإرادة والطلب في الزهد والترك والحب والبغض، وأنفع الفكر الفكر في مصالح المعاد، وفي طرق اجتلابها، وفي دفع مفسد المعاد، وفي طرق اجتنابها". (١٩)

٥ - تدبر الماضي التاريخي:

التعرف على السنن والاعتبار بها والآيات القرآنية التي تحث على الاعتبار كثيرة ومن ذلك قوله تعالى: {أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَكُنُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا} [فاطر: ٤٤]. (٢٠)

٦ - أن تكون التفسيرات للأحداث في ضوء الشرع:

إن تفسير الحوادث الكونية والتاريخية والاجتماعية في معزل عن الشرع يحدث تصدعاً في البنية المعرفية عند الإنسان، ويتبعها نظرة معملية لذلك، يفقد بها المترى المعرفة الشرعية، وربط الأسباب بمسبباتها، وربط ذلك كله بإرادة الله وحكمته وكمال تدبيره سبحانه وتعالى، فينعكس ذلك على الجانب الاعتقادي.

قال تعالى: {وَكَمْ قَصَمْنَا مِنْ قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنْشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا آخَرِينَ} [الأنبياء: ١١].

(١٩) ابن قيم الجوزية، الفوائد، ص ١٩٣.

(٢٠) انظر على سبيل المثال سورة يوسف آية ١٠٩، والحج آية ٤٦، والروم آية ٩، فاطر آية ٤٤، وغافر آية ٢٤، ٨٢.

٧- عدم الاتكالية: إن الاتكال على الآخرين في كل شيء، والاعتماد عليهم في التنظيم والتخطيط وإيجاد الحلول والبدائل، يجعل عقل الإنسان عقياً، بعيداً عن التفكير البناء، ويعيق نشاط الذهن الذي يثمر الإبداع الجيد الصحيح.

٨- تعلم العلم: إن العلم لقاح العقول، ينميها ويربيها وينير فيها روح الإبداع والبحث العلمي الواعي الرشيد، وأنفع العلوم في لقاح العقول وأكملها علم الشريعة، ثم العلوم التي يحتاجها الإنسان في بناء أمته ومجتمعه، كالاقتصاد والعلوم الزراعية والصناعية والتجارية والإدارية والطبية.

٩- الحوار والمناقشة:

إن الاسلوب الحواري في تصحيح المعلومات الخاطئة، والتصورات الباطلة أثراً كبيراً في تقبل صحيح المعلومات والتصورات، وإزالة الملبسات، والمتعلقات الذهنية الخاطئة، لأن فيه قرع الحجة بالحجة، وفتح الذهن، وفك ما غلق واستصعب من الفهم والإدراك.

١٠- ضرب الأمثال:

قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضَرْبٌ مِّثْلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمُطْلُوبُ} [الحج: ٧٣].

عَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: "إِنَّمَا مِثْلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ، وَالْجَلِيسِ السَّوِّءِ، كَحَامِلِ الْمِسْكِ، وَنَافِعِ الْكَبِيرِ، فَحَامِلُ الْمِسْكِ: إِمَّا أَنْ يُحْذِيكَ، وَإِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا طَيِّبَةً، وَنَافِعُ الْكَبِيرِ: إِمَّا أَنْ يُحْرِقَ ثِيَابَكَ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ رِيحًا خَبِيثَةً". (٢١)

والقرآن والسنة الصحيحة بهما الكثير من الأمثلة على ذلك. (٢٢)

(٢١) صحيح مسلم (٤/ ٢٠٢٦) رقم ١٤٦ (٢٦٢٨) واللفظ له، صحيح البخاري (٣/ ٦٣) رقم ٢١٠١.

(٢٢) التربية الإبداعية في منظور التربية الإسلامية لخالد بن حامد الحازمي (ص: ٤٧٠).

يَزِينُ الْفَتَى فِي النَّاسِ صِحَّةُ عَقْلِهِ وَإِنْ كَانَ مُحْظُورًا عَلَيْهِ مَكَاسِبُهُ
يَشِينُ الْفَتَى فِي النَّاسِ قِلَّةُ عَقْلِهِ وَإِنْ كَرُمَتْ أَعْرَاقُهُ وَمَنَاسِبُهُ
يَعِيشُ الْفَتَى بِالْعَقْلِ فِي النَّاسِ إِنَّهُ عَلَى الْعَقْلِ يَجْرِي عِلْمُهُ وَتَجَارِبُهُ
وَأَفْضَلُ قَسَمِ اللَّهِ لِلْمَرْءِ عَقْلُهُ فَلَيْسَ مِنَ الْأَشْيَاءِ شَيْءٌ يُقَارِبُهُ
إِذَا أَكْمَلَ الرَّحْمَنُ لِلْمَرْءِ عَقْلَهُ فَقَدْ كَمَلَتْ أَخْلَاقُهُ وَمَآرِبُهُ. (٢٣)

والحمد لله رب العالمين